

تفسير ابن كثير

* وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ق
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا

يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآتات والحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحده ، ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : " أتدري ما حق الله على العباد ؟ " قال : الله ورسوله أعلم . قال : " أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا " ، ثم قال : " أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ ألا يعذبهم " ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين ، فإن الله ، سبحانه ، جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود ، وكثيرا ما يقرن الله ، سبحانه ، بين عبادته والإحسان إلى الوالدين ، كقوله : (أن اشكر لي ولوالديك) [لقمان : 14] وكقوله : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) [الإسراء : 23] . ثم عطف على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى القرابات من الرجال

والنساء ، كما جاء في الحديث : " الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم
صدقة وصلة " . ثم قال : (واليتامى) وذلك لأنهم قد فقدوا من يقوم بمصالحهم ، ومن
ينفق عليهم ، فأمر الله بالإحسان إليهم والحنو عليهم . ثم قال : (والمساكين) وهم
المحاييج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم ، فأمر الله بمساعدتهم
بما تتم به كفائتهم وتزول به ضرورتهم . وسيأتي الكلام على الفقير والمسكين في سورة
براءة . وقوله : (والجار ذي القربى والجار الجنب) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس
: (والجار ذي القربى) يعني الذي بينك وبينه قرابة ، (والجار الجنب) الذي ليس بينك
وبينه قرابة . وكذا روي عن عكرمة ، ومجاهد ، وميمون بن مهران ، والضحاك ، وزيد
بن أسلم ، ومقاتل بن حيان ، وقتادة . وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله : (
والجار ذي القربى) يعني المسلم (والجار الجنب) يعني اليهودي والنصراني رواه ابن
جرير ، وابن أبي حاتم . وقال جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علي وابن مسعود : (والجار
ذي القربى) يعني المرأة . وقال مجاهد أيضا في قوله : (والجار الجنب) يعني الرفيق في
السفر . وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار ، فنذكر منها ما تيسر ، والله المستعان

:الحديث الأول : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمر بن محمد بن زيد : أنه سمع أباه محمدا يحدث ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " .أخرجاه في الصحيح من حديث عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، به .الحديث الثاني : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " .وروى أبو داود والترمذي نحوه ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن بشير أبي إسماعيل - زاد الترمذي : وداود بن شابور - كلاهما عن مجاهد ، به ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه وقد روي عن مجاهد عن عائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .الحديث الثالث عنه : قال أحمد أيضا : حدثنا عبد الله بن يزيد ، أخبرنا حيوة ، أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره " .ورواه

الترمذي عن أحمد بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن حيوة بن شريح - به ، وقال

: [حديث] حسن غريب .الحديث الرابع : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن

مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة عن عمر قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : " لا يشبع الرجل دون جاره " . تفرد به أحمد .الحديث الخامس :

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان ، حدثنا

محمد بن سعد الأنصاري ، سمعت أبا ظبية الكلاعي ، سمعت المقداد بن الأسود يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : [" ما تقولون في الزنا ؟ " قالوا : حرام

حرمه الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم]

لأن يزني الرجل بعشر نسوة ، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره " . قال : ما تقولون في

السرقه ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام . قال " لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات ،

أيسر عليه من أن يسرق من جاره " . تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث

ابن مسعود : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل الله ندا وهو خلقك

" . قلت : ثم أي ؟ قال : " أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " . قلت : ثم أي ؟ قال : "

أن تزاني حليلة جارك " .الحديث السادس : قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ،
عن حفصة ، عن أبي العالية ، عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلي أريد النبي
صلى الله عليه وسلم ، فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه ، فظننت أن لهما حاجة - قال
الأنصاري : لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرثي لرسول الله صلى
الله عليه وسلم من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، لقد قام بك هذا
الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام . قال : " ولقد رأيتَه ؟ " قلت : نعم . قال : "
أتدري من هو ؟ " قلت : لا . قال : " ذاك جبريل ، ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه
سيورثه . ثم قال : أما إنك لو سلمت عليه ، رد عليك السلام " .الحديث السابع : قال عبد
بن حميد في مسنده : حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا أبو بكر - يعني المدني - عن جابر بن
عبد الله قال : جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه
السلام يصليان حيث يصلى على الجنائز ، فلما انصرف قال الرجل : يا رسول الله ، من
هذا الرجل الذي رأيت معك ؟ قال : " وقد رأيتَه ؟ " قال : نعم . قال : " لقد رأيت خيرا
كثيرا ، هذا جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى رأيت أنه سيورثه " .تفرد به من هذا الوجه

وهو شاهد للذي قبله .الحديث الثامن : قال أبو بكر البزار : حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع الحارثي ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وهو أدنى الجيران حقا ، و جار له حقان ، و جار له ثلاثة حقوق ، وهو أفضل الجيران حقا ، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار . وأما الذي له حقان فجار مسلم ، له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق ، فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم " .قال البزار : لا نعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الفضيل إلا ابن أبي فديك .الحديث التاسع : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي عمران ، عن طلحة بن عبد الله ، عن عائشة; أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : " إن لي جارين ، فإلى أيهما أهدي ؟ قال : " إلى أقربهما منك بابا " .ورواه البخاري من حديث شعبة ، به .وقوله : (والصاحب بالجنب) قال الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علي وابن مسعود قالا هي المرأة .وقال ابن أبي حاتم : وروى

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وسعيد بن جبير - في إحدى الروايات - نحو ذلك . وقال ابن عباس ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة : هو الرفيق في السفر .

وقال سعيد بن جبير : هو الرفيق الصالح . وقال زيد بن أسلم : هو جلسك في الحضر ، ورفيقك في السفر . وأما (ابن السبيل) فعن ابن عباس وجماعة هو : الضيف .4 وقال مجاهد ، وأبو جعفر الباقر ، والحسن ، والضحاك ، ومقاتل : هو الذي يمر عليك مجتازا في السفر . وهذا أظهر ، وإن كان مراد القائل بالضيف : المار في الطريق ، فهما سواء .

وسياتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة ، وبالله الثقة وعليه التكلان . وقوله : (وما ملكت أيمانكم) وصية بالأرقاء ; لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس ، ولهذا ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول : " الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم " . فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه . وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا بقرية ، حدثنا بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك

فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقه " .ورواه النسائي من حديث بقية ،
وإسناده صحيح والله الحمد .وعن عبد الله بن عمرو أنه قال لقهرمان له : هل أعطيت
الرقيق قوتهم ؟ قال : لا . قال : فانطلق فأعطهم ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
: " كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم " رواه مسلم .وعن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : " للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق "
 . رواه مسلم أيضا .وعنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أتى أحدكم خادمه
بطعامه ، فإن لم يجلسه معه ، فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين ، فإنه ولي حره
وعلاجه " .أخرجاه ولفظه للبخاري ولمسلم فليقعده معه فليأكل ، فإن كان الطعام مشفوها
قليلا فليضع في يده أكلة أو أكلتين " .وعن أبي ذر ، رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : " هم إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت
يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ،
فأعينوهم " . أخرجاه .وقوله : (إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) أي : مختالا
في نفسه ، معجبا متكبرا ، فخورا على الناس ، يرى أنه خير منهم ، فهو في نفسه كبير ،

وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض . قال مجاهد في قوله : (إن الله لا يحب من كان مختالا) يعني : متكبرا (فخورا) يعني : يعد ما أعطي ، وهو لا يشكر الله ، عز وجل .

يعني : يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه ، وهو قليل الشكر الله على ذلك . وقال ابن جرير : حدثني القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهروي قال : لا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالا فخورا - وتلا (وما ملكت أيمانكم [إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا]) ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا - وتلا (وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا) [مريم : 32] . وروى ابن أبي حاتم ، عن العوام بن حوشب ، مثله في المختال الفخور . وقال : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأسود بن شيبان ، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف : كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه ، فلقيته فقلت : يا أبا ذر ، بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم : " إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة " ؟ قال : أجل ، فلا إخالني أكذب على خليلي ، ثلاثا . قلت : من الثلاثة الذين يبغض الله ؟ قال : المختال الفخور ، أوليس تجدونه عندكم في كتاب الله المنزل ؟ ثم قرأ الآية : (إن الله

لا يحب من كان مختالا فخورا) [النساء : 36] .وحدثنا أبي ، حدثنا موسى بن

إسماعيل ، حدثنا وهيب عن خالد ، عن أبي تميمة عن رجل من بلهجوم قال : قلت يا

رسول الله ، أوصني . قال : " إياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، وإن

الله لا يحب المخيلة " .